

## مصطفى طيبة

وجاء يوم كنت فيه أنا المتهم سجيناً والمحامى الذى دافع عنى سجيناً والقاضى الذى  
حاكمنى سجيناً هو أيضاً.

مصطفى طيبة

الأب يجاهد بحثاً عن خبز لسبعة أبناء وزوجتين. والفقر حاجز أمام طموح التعليم،  
وممكنات الأب تقف به عند حدود الشهادة الابتدائية، أما ما بعد هذا فهو رفاهية لا يقدر  
عليها، لكن الفتى مصطفى يلح.. ويتنازل الأب فيدخله مدرسة الصنائع. وبعد الدبلوم يعين  
مصطفى فى وظيفة إدارية فى وزارة الحربية. لكنه يتطلع إلى المزيد فيلتحق فى دراسة  
مسانئية بمدرسة الفنون التطبيقية.

وكعادة شباب هذه الأيام كان قلقاً وراغباً فى خدمة الوطن عبر أى سبيل فتنقل من الوفد  
إلى مصر الفتاة إلى الإخوان. وبالمصادفة وقعت فى يده عدة كتب لسلامة موسى وأعداد من  
«المجلة الجديدة» والتهب ضوء مبهر فى أعماق «مصطفى أفندى» واصل القراءة وواصل  
التجوال على الأندية الثقافية التى تكاثرت فى هذه الأيام.. تنقل بين ندوات «جماعة نشر  
الثقافة الحديثة» حيث استمع إلى محاضرات لمصطفى كامل منيب وسعيد خيال وإبراهيم  
سعد الدين. و«دار الأبحاث العلمية» حيث أنصت إلى شهادى عطية وعبد المعبود الجبلى وعبد  
الرحمن الناصر ولطيفة الزيات و«نادى أم درمان» حيث يرتل محمد خليل قاسم وزكى مراد  
أشعارهما وحيث يخطب عبده ذهب مندداً بالشعار السائد «نيل واحد، شعب واحد، ملك  
واحد» ويرفع عالياً الشعار البديل «الكفاح المشترك ضد العدو المشترك.. وتلتقطه من هناك  
عيون يقظة تقوده إلى «الحركة المصرية للتححر الوطنى»، ويتلقى توجيهها من مسئوله بالعمل  
النشط وسط خريجي الفنون التطبيقية فهناك حركة نشطة تطالب بأن يمنحوا لقب مساعد  
مهندس ثم لقب مهندس بعد فترة، وبزيادة الرواتب وعبر نشاط جارف قام به هو ومجموعة

حزبية منها يوسف بدير محمد على وبمسئولية سيد سليمان رفاعى، أمكن تأسيس «رابطة خريجي الفنون التطبيقية»، ويقود مصطفى إضرابا ناجحا وإعتصامات عديدة فى مقر الرابطة، وتخضع الحكومة ويصبح مساعد مهندس. لكن هذا النجاح لا يمر بلا اهتمام من القيادة. فقد تم تصعيده إلى لجنة القاهرة ثم دعاه هنرى كورييل ليحضر اجتماعا للجنة المركزية يقدم فيه تقريراً عن خبرات تأسيس الرابطة وتنظيم الإضراب والاعتصام، كان قلبه يدق فهو فى حضرة القادة وكان القادة ينصتون فى انبهار وبعدها أصبح مسئولاً عن لجنة المعز (القاهرة) وانغمس حتى أذنيه فى النضال الثورى. وفى ١٩٤٨ كان قد أصبح كادراً أساسياً فى منظمة حدتو. ثم بدأت المشكلات. حرب فلسطين- حملة الاعتقالات - الانقسامات ، وفى هذه الأثناء تم تصعيده إلى اللجنة المركزية، وفى هذا المناخ الملى بالانقسامات والتربص بكل قول، والانفعال المرتدى ثياباً ثورية أعد الرفيق شكرى (مصطفى طيبة) تقريراً نادى فيه بضرورة أن يفتح الحزب ليس فقط على العمال والفلاحين والطلاب والفقراء وإنما أن يفتح نراعيه للمهنيين وكل القوى الوطنية والديمقراطية فى المجتمع. وأطلق على هذا التقرير اسماً هو «خط القوات الوطنية والديمقراطية» ونستمع إلى الرفيق شكرى «هذا التقرير نسخ منه عدد محدود ووزع بالكاد على المتبقين من عضوية اللجنة المركزية. لكن المناخ كان معصوب العينين والعقل كان متجهاً نحو الخصومة، وجرى تهيج الكادر ضد تقريرى. وفجأة أصبحت عدواً لغالبية من كادر تحركه نزعات برجوازية صغيرة تحركها شعارات متطرفة ومنتشدة، والمثير للدهشة أن الذين أدانوا التقرير لم يقرأوه، لكنهم فقط سمعوا عنه من خصوم للفكرة. وفى مواجهة التقرير نشأت الدعوة لنقاء الحزب البروليتارى من أى وجود غير عمالى ورفع شعار.. ١٠٠٪ عمال (منظمة م.ش.م) والبعض تواضع ورفع شعار ٧٥٪ عمال (منظمة العمالية الثورية). ومن المعتقل يتلقى رسالة من هنرى كورييل تطلب ليه أن يترك وظيفته ويحترف فى العمل الحزبى. لكن ما يراه من صخب غير عاقل وخلافات غير مبررة وانقسامات لا تعرف العقل ولا التروى كل ذلك جعله يرفض أن يضع مصيره فى أيدي هؤلاء . ويغضب رفاقه فى المعتقل ويقررون تنزيله من عضوية اللجنة المركزية، ويجد الرفيق شكرى نفسه بين فكى كسارة البندق فالذين رفضوا تقريره اتهموه بالخيانة والذين قبلوه إتهموه بالضعف. وانعزل شكرى مع مجموعة صغيرة تمتلك كنزاً حقيقياً هو «مطبعة» وسميت هذه المجموعة «مجموعة المطبعة».

ويعود إلى مصر، من فرنسا، في هذه الأثناء شاب حصل على الدكتوراه وأصبح مدرسا بالجامعة هو د. فؤاد مرسى. قابله شكرى وطلب د. فؤاد أن ينضم إلى حدتو لكن شكرى قال له : أنا شخصيا تركت حدتو. وفترة من اللقاءات الفردية مع مصطفى ثم مع سعد زهران وجلس الدكتور مع مجموعة المطبوعة: مصطفى طيبة - سعد زهران- داود عزيز- لمعى يوسف- طوسون كيرلس. وانبهر الجميع بحماس وقدرات الوافد الجديد. الذى كان قد أعد تقريرين مهمين إنبهر بهما كل من قرأهما «الصراع الطبقي فى مصر» و«ثورتنا المقبلة». ويمضى شكرى قائلا «تصورت وكذلك الدكتور فؤاد أن كل ماركسى سيقراً هذين التقريرين سوف ينضم إلينا حتما. وكان ذلك صحيحا إلى حد ما. وفى أول يناير ١٩٥٠ أعلننا قيام الحزب الشيوعى المصرى، وأصبح فؤاد مرسى سكرتيرا عاما وأنا مسئولاً للتنظيم وداود عزيز مسئولاً للدعاية، وسعد زهران معنا فى القيادة الرباعية، ونجحنا فى إصدار مطبوعات أنيقة جداً ومنتظمة تماما فمجلة راية الشعب كانت تصدر كل خميس وبانتظام مثير للدهشة»، ويقبض على الرفيق شكرى ومعه مصطفى كمال خليل ومعهما المطبوعة فى ١٨ يوليو ١٩٥٢، وبعدها بأيام تأتى ثورة يوليو. ومحاكمة عسكرية أمام مجلس عسكري عالى يرأسه قائمقام أحمد شوقى عبد الرحمن، وترافع عنه المحامى الوفدى الشهير محمود سليمان غنام الذى هاجم الحكم العسكرى هجوما عنيفا وبعد شهرين اوقفت المحاكمة فقد قبض على القاضى بتهمة تدبير انقلاب عسكري جديد وقبض على المحامى بتهمة العداء للثورة، وأتى قاضى جديد هو اللواء فؤاد الدجوى ليحكم عليه بالسجن عشرة سنوات أشغال شاقة.. ويبقى مصطفى طيبة مسجوناً حتى بعد أن ينهى فترة العقوبة ولا يفرج عنه إلا فى ابريل ١٩٦٤ مع باقى المسجونين، ويعمل مصطفى طيبة بقرار من خالد محيى الدين صحفياً فى دار أخبار اليوم عندما كان رئيساً لمجلس إدارتها: ويكتب الرفيق شكرى ما يشبه المذكرات فى جزئين «رسائل سجين سياسى إلى حبيبته»، وفى الحوار الممتد معه لساعات أيام (مايو- يونيو ١٩٦٨) حكى ألما كثيرة ورجانى إلا أدونها، ألام من بينها: ظلم الرفاق له- أبوه الذى قضى أيامه الأخيرة فى ملجأ العجزة حيث أفقر الفقراء، أخته التى ظلت مصابة بانهيار عصبى منذ القبض عليه وحتى نهاية الحياة. زوجته الايطالية التى ما أن علمت بالقبض عليه حتى أجهضت ابنه وطلقته. وتبدت دموعه وهو يقول لو كان ابنى حيا لكان قد أصبح شابا». وقال «كنت متماسكا رافعا

هامتى أمام خصومى الطبقيين لأكون قدوة لزملائى لكننى كنت أتمزق لإحساسى أننى  
عذبت أبى وأختى». وتمضى الأيام ليرحل الرفيق شكرى حاملا أحزانه فى صدره الذى كان باتساعِ حلم  
الوطن بأسره.